الادب في البحرين

— ٣ —

ومن اغلاط الكتابة :

(واجفـاناً (مأرقةً) دواما لها عن خاطب الغمض امتناع)

والصواب مؤرقة لان ما قبل الهمزة مضموم . ومن خواطئه اللغوية قوله :

(لم يألفوا كنف العقيق وانمـا شتوا بار باع الضمير وقيضوا)

بالضـاد المعجمة وصوابه قيظوا من القيظ اشد الصيف حراً لا من القيض وهو قشر البيضة . ومنـه قولهم مح البيض خير من القيض وقيّض تستعمل بمعنى قيض الله له الخطأ او الصواب وما اشبه ذلك من التعبير .

ومن الخطإ النحوي قوله في صدود البيض عن شعراته البيض :

(أوَ للبيض عن سناهن أوما كان (ناشٍ) عن صدهن صدود)

والصواب ناشئاً خبر كان المقدم .

ومن عيوب النسخ مسخ اجفال باجفان في بيت يصف فيه النياق :

(لهن اذا ما استرفض الآل سمته على الأين (اجفان) النعام المطرّد)

ومن مخالفة العروض والوزن الذي وقع فيه الناسخ قوله :

(لو كان في وسع جهدي ان ابثكم شوقي واشكو (اليكم) وجدي وتبريحي)

الصواب لكم . ومن أغلاطه اللغوية قوله :

(يا شوى قلبي على البعـد فهل من لقاً يعدي على ذاك ووصلي)

فهو يريد مصدر شوى اللحم شيًّا وشواءً واما الشوى فما ليس بمقتل من الانسان تقول رمى الصيد فأشواه نقيض أصماه ، ومن المجاز اعطاني من الشوى وهو رذال المال وكل ذلك شوىً ما سلم شرفي اي هو حقير ، وتعبيره يا شوى قلبي من اقوال العامة في البحرين وفي الشام ايضاً تقول الثكلى عندنا « يا شوى قلبي عليه » اي على فقيدها ولو وضعها بين قوسين يدلان على الرواية لما خطأناه . ومنها استعماله التفرّاق للفراق وهو غير صحيح ولا مستعمل لا في الشام ولا في العراق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(فان من جمع الزوجين قبلك لا يعيا بألفتنا بعد التفرّاق)

اي لا يتعب بجمعنا بعد تفريقنا وهو بيت ضعيف الأسر لم يجوّد حبكه .

ومن مسخ النسخ قوله :

(وخذوا بالترات من قاتل الشعر فما الحزم ان تضاع الذحول)

والصواب الترات جمع ترة وهي الوتر اي الثار نقول : هو اطلب الناس للترات ما بين دجلة والفرات ، ولا معنى للتراث وليس هنا من يأكله اكلاً لمّا ، والذحول في آخر البيت دليل على صحة ما نقول :

ومن الأغلاط النحوية ولعله من مسخ النسخ ايضاً :

(فما اشقاك يا من لا يذقه واحظى من تعاطاه واسعد)

ويغلب الظن على المسخ ان الوزن يستقيم لو قال : يا من لم يذقه ، وكلامه على نبات الحشيشة الملعونة ، ولو نظمنا في وصفه لقلنا :

(فما اسماك يا من لم يذقه واسفلَ من تعاطاه وانكد !)

هذا ولعل في ديوان ابي البحر غير هذه الهفوات اليسيرة وهي بالنظر الى تجويداته الجمة كالحسنات يذهبن السيئات . واما الديوان من وجهة الادب الحقيقية اي الأخلاق ، فجل قصائده قيلت في المدح وفيه من المغالاة والاغراق ما لا يحمد ، خلا ما قاله في الرثاء المحمول على الوفاء ، فمن إغراقه الكاذب قوله :

(وزفرة لو ثوى اليوم الخليل بها اودى ولم يغن عنه برده فيها)

(لو سيم وبل الحيا اطفاء وقدتها لم تلفه وملياه الارض تطفيها)

(وعبرة لو دعي نوح ليسلكها بفلكه قال : بسم الله مجريها)

ومن هذه الاحالة التي يمجها العقل السليم وذوق العصر الحاضر قوله :

(أصبحت أثقلَ مني نملة فزنوا بي بعضها يرجح بكلي)

(ثم لو قد حملتني بقة ! مدة الايام لم تعي بحملي)

وفي تعي المجزومة زحاف كان له عنه مندوحة بقوله لم تتعب .

واما الرثاء فقد برز فيه اقرانه ولا سيما مراثيه في آل البيت فانها :

(ارق من دمعة شيعية ترثي عليّ بن ابي طالب)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اشتهرت مرثيته في الامام الشهيد ابي عبدالله الحسين واسرته الطاهرة وهي التي مطلعها : (معـاهدهم بالابرقين هوامد رزقن عهاد المزن تلك المعاهدُ)

ولو قال : سقين لكان أعرب وأطرب ومنها في وصف ذلك المستبسل :

(كأني به في ثلة من رجاله كما حف بالليث الاسود اللوابد)
(اذا اعتقلوا سمر الرماح وجردوا سيوفاً اعارتها البطون الاساود)
(فليس لهـا الا الصدور مراكز وليس لها الا الرؤوس مغـامد)
(الى ان ثووا في الرمل صرعى كأنهم نخيل أمالتهن أيد عواضد)
(ولم يبق الا واحد الناس واحداً يكابد من أعدائه ما يكابد)
(يحامي وراء الطاهرات مجاهداً باهلي وبي ذاك المحامي المجاهدُ)

ومن شوائبه ومعائب جيلة الاستجداء والبذاء في الشعر ومدح ما هو خليق بالذم كمدحه الحشيشة بقصيدة طويلة تحبب التحشيش الى قلب كل سخيف العقل كالقصيدة التي نظمها جواباً لحشيشية بعض فتيان القطيف وفي قصيدة ابي البحر من فاحش البذاء ما يندى له جبين الحياء ومن استجدائه الشائن قوله يعاتب بعض العلويين الشريف ناصر القاروني مستجدياً .

(ما كنت احسب والعليـاء مولعة بخفض شأن اخي العلياء والحسبِ)
(اني أمد لا ندى العـالمين يداً يدي لاعلق ما أوتيـه من نشبِ)
(حتى سألتـك يا احنى الانام على ضعفي قويتَ ويا احنى البرية بي)
(فظلت توسعني مطلاً يضيق به صدري ويضطرني كرهاً الى العتب)

فكيف يكون اندى العالمين يداً من بوسعه مطالاً يضيق به صدره فيضطره الى العتب الى ان يقول في الجواد المطُول :

(اما الوفاء فشيء قـد سمعت به ولن تراه ولو امعنتَ في الطلب)

وانظر الى بعد همته ومبلغ عزته قائلاً :

(أصبحت منذ اليوم ضيقةً يدي فابعث اليَّ ولو بعثت بدرهم)
(انا غرس أنعمك التي لاعذر لي ان لم أواصل شكر تلك الانعم)

واما محاسن ابي البحر فجمة منها ما كان في حب اوطانه والحنين الى اهله وخلانه كقوله :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(أأحبابنا والمرء يا ربما دعا أخا النأي ان ضاقت عليه مناوحه)
(هل الدهر مدينني اليكم فمبردٌ لهيب اشتياق يرمض القلب لافحه)
(كفى حزناً اني بشيراز مفرد اباكر ما يضني الحشا وأراوحه)
(وشوقاً لواسنجلي سناه اخوالدجى لاغناه عن ضوء المصابيح قادحه)
(احن فلاألقى سوى هاتف الضحى يطارحني شكوى النوى وأطارحه)
(يكاد اذا هزّ الجناح نخانه تقض بترجيع الحنين جوانحه)
(خلا انه ذو رفقة فمتى دعا تجبه على قرب المكان صوادحه)
(يشن عليّ البعد غارات جوره وتهتف بي من كل فج صوائحه)
(له الغلبُ فليثنِ الاعنة مبقياً عليّ فما عندي جنود تكافحه)
(سقى جدّ حفص الغيث سحّاً ولوهمى لها الدمع اغناها عن الغيث راشحه)
(ولازال خفاق النسيم اذا سرى عليلاً يمامي جوها و يصابحه)
(بلاد اقام القلب فيها فلم يزل وان طمحت بالجسم عنها طوامحه)
(هل الله مستبق ذماي بعودة اليها يريني الدمع قد هش كالحه)

ان هذا الشعر ليفيض شعوراً ولو ترجم الى اية لغة اجنبية لشارك الفرنجي الشاعر في حزنه وأشجانه وبكى لغربته وبعده عن أوطانه ، واما حنينه الى اهله وولده فيحاكي به حنين شاعر الفرنجة فكتور هوغو الى ولده وولع شاعرنا بولع شاعرهم أشبه من الجمرة بالجمرة قال ابو البحر :

(ان يصبني ذكر الديار فانه لاناث أصيبة بها وذكور)
(وجدي الصغير بها لاصغر صبيتي وكبير أشواقي بها لكبيري)
(وكريمة الطرفين جُرّ على الثقى والدين فاضل ذيلها المجرور)
(ومهفهف زرت غلائلهُ على غصن يميل به النسيمُ نضير)
(رشأ جراحاتي جبار عنده ابداً وكسري ليس بالمجبور)
(ضاحي الجبين وانه ليريك من تحت الخمار شمائل المخمور)
(انا اسعد الثقلين ان ادناهمُ مني رواحي نحوهم وبكوري)
(لأجشمن الناجيات اليهم والسفن قطع مفاوز وبحور)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ولالقين بحر وجهي نحوهم حرين حر هوىً وحر هجير)
(فعسى ابتذال الصون يفضي بي الى من صين تحت اكلةٍ وستور)
(فأبيت قدالقيت اعباء السرى وارحتُ ظهر مطيتي وبعيري)
(ان كان ذاك فياسعادة طالعي ونجاح آمالي ويمن طيوري)
(يامن اسيّر كل يوم نحوهم كتبي اذا اعيا على مسيري)
(لا تحسبوها انها كتبت لكم بسواد حبري بل سواد نظيري)
(من لا يطيق فراق يوم واحد لكم فكيف يكون بعد شهور)
(آهٍ ، وقلّ على أوال تأوهي فاذا جننت بها فغير كثير)
(ما كنت مبتاعًا ازقة فارسٍ بالفيح من عرصاتها والدور)
(هيهات ما شيراز وافية بما في تلك لي من نعمة وحبور)
(بلد تعادل صيفها وشتاؤها في الطيب للمقرور والمحرور)
(يتكاءدُ الرزق العباد وانه فيها على باغيه غير عسير)
(سيان عيشة كادحٍ ومرفه فيها ونعمة موسر وفقير)
(ان طبق المحل البلاد فاننا في روضة من خصبها وعبير)

الى ان يقول :

(لا عيب فيها غير ان حياضها شرَع لورد الليث والخنزير)
(هي جنة لو ميّزت نعماؤها ما بين عبد مؤمن وكفور)
(يا جادَها الهتن الملثّ فاصبحت غرضًا لمحلول النطاق غزير)

انا قرأنا في اللغة الفرنسية كثيراً من قصائد الحنين الى الاوطان والاهل والاخدان مما يحل الحليم له الحبوة ، وتنشأ له في قلب الخلي الصبوة ، واقسم لو قرأنا هذا الشعر في اية لغة فرنجية كانت او مايساميه ادبا ، لخرجنا من جلودنا طربا ، ولااقول هنا لطربي لو قال : بلد تعادل صيفه وشتاؤه لأصاب شاكلة الصواب وتظهر مزية هذا الشعر ، وسمو مرتبته ، اذا نُظر الى العصر الذي قيلت فيه وهو عصر الانحطاط الادبي في العالم العربي .

ومن ظرائف ابي البحر المستملحة انه بلغه عن بعض فتيان القطيف انه يقول الشعر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاستنشده فأنشده مالم يرزق لديه حظوة ونقد شعره فوقع فيه ذلك الشعرور فقال ابو البحر هازلاً ومؤدباً ماينطبق على كثير من مستعلجة شعرائنا ومتفرنجة أدبائنا :

(يا خليليّ من ذؤابة شيبا ... نٍ ويدعى لما ينوب الخليلُ)
(ان هذا الفتى الذي وسم الشعـ ... ـرَ بعارٍ ما ان نراه يزولُ)
(قد نضى مدية الجهالة يفري ... ودج الفضل فهو منه قتيل)
(يا حماة القريض هبوا لاخذ الـ ... ـثار فالخطب لو علمتم جليل)
(وخذوا بالترات من قاتل الشعـ ... ـر فما الحزم ان تضاع الذحولُ)
(لاك في فيه شحمة الشعر من لم ... يدَر ما فاعل ولا مفعولُ)
(وادعى رتبة البلاغة في القو ... لِ غبي لم يدر ايش يقولُ !)

وقال فيه ايضاً وبنى قصيدته على مطلع لاخيه الغنوي وهو هذا :

(اعمل نفسك مثقالاً ومعياراً ... واسرر اباك بان يلقاك عطاراً)

فقال ابو البحر ما يشبه قول الشاعر الفرنسي الكبير بوالو (Boileau) في قصيدته (صناعة الشعر [1]) : « كن بالحري بناءً ان كان ذاك استعدادك » (Soyez plutôt maçon, si c'est votre talent) وقد نظمت هذا المعنى على البحر والقافية :

(كن بالحري انت بناءً ومعمارا ... ان كان طبعك هذا او فنجارا)

ابو البحر :

(او فاتخذ لك سنداناً ومطرقة ... واعمل متى شئت سكيناً ومسمارا)
(او فاتخذ لك منشاراً وقشترة ... وكن كنوح نبي الله نجارا)
(او صائغاً يسبك العقيان يبرز من ... ابريزه للنسا صفاً ودينارا)
(او فاتخذ لك مزماراً ودبدبةً ... وعش لك الخير طبالاً وزمارا)
(او كن فديتك صفّاراً فليس على ... علياك بأس اذا أصبحت صفارا)
(او كن كصاحبك الادنى اباحسن ... أعني علياً [2] فتى عمران زرّارا)

(١) L'art poétique . (٢) علي بن عمران من آل عبد المحسن من القطيف كان بينه وبين المتشاعر ألفة وحرفته صنعة الازرار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(او فاتبع ابن مهنى [١] في بزازته او فامش خلف فتى شنصوه [٢] قصارا)
(او فاسأل ابن مهني علم صنعته مما يفيدك بالدينار قنطارا)
(او عالج الأتن في أدوائهن وكن شروى خميس بن خضّاموه [٣] ببطارا)
(اوفاقتلع من رشالا [٤] الطين متخذاً منه الجرار وعش في الخط جرارا)
(اوفاقتن الأتن واحمل فوقها حطباً فخير شيء اذا أصبحت حمارا)
(اوفاحمل الفخ واذهب حيث شئت تصد به لصبية أهل الخط اطيارا)
(وان سمعت مقالي فامض متكلاً على الهك في الابوام [٥] بحّارا)
(وان ترفعت عن هذا فحيّ على استغفار ربك تلق الله غفارا)
(وقيما في بيوت الله تسمعنا أذانك العذب آصالاً واسحارا)
(اومنشداً مدح خير الناس!!! حيدرة او قارئاً في نواحي السوق اخبارا)
(ولا تلمّ بربع الشعر ان له ظعناً تأخرت عن مسراه اذ سارا)
(قد حلّقت بنفيس الشعر طائره عنقاء مغرب فاقعد عنه اذ طارا)
(وها كها كشواظ النار لافحةً أثناء قلبك لا تألوه اسعارا)

و بهذه الأهجية العجيبة حاكى ابو البحر مهرة السحرة من الفرنجة ، وانظر ما أوجع تهكمه بقوله ناصحاً : وان سمعت مقالي فامض متكلاً على الهك الخ . وما اكثر ادعياء الأدب فينا ممن لو شعروا بنقصهم وتخلفهم لما شعروا ، ولما عدوا من المفاخر ، ما يأتوننا به كل يوم من المساخر ، فنسأل الرحمن الرحيم ان يلهمنا رشدنا و يهدينا السراط المستقيم .

ابو قيس
عز الدين آل علم الدين

---

(١) محمد بن مهنى الحسيني من باعة البز في القطيف ومن أشراف البحرين له فضل وأدب أكب على علم الصنعة الالهية اي الكيمياء . (٢) سليمان بن محمد شنصوه كان قصاراً في البحرين . (٣) كان مشهوراً في القطيف بمعالجة الحمير والرفق بهم جزي خيراً . (٤) مقلع للطين . (٥) جمع بوم وهو السفينة الكبيرة ويعرف بهذا الاسم في خليج البصرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net